

جيمورفولوجية نهر الفرات في محافظة النجف

كما هو معروف عندما يجري النهر في أراضي تمتاز بالانسياس فإنها تتعرض لتغير مجراها لأنها تنساب في أراضي منبسطة قليلة الانحدار وبين ضفاف واطنة فضلاً عن حدوث الفيضانات والتي تجلب معها كميات كبيرة من الرواسب والتي لها أهمية كبيرة في تغير مجاري الأنهار حيث يكون عمل تلك الرواسب على رفع قاع المجرى فتعيق جريان المياه وبالتالي تضطر المياه في مواسم الفيضان إلى تغير اتجاهها لتناسب وطبيعة انحدار الأرض فتشق لها مجاري جديدة. وتدلنا كتب التاريخ على أن نهر الفرات مر بثلاث تطورات في تلك المنطقة وكما يلي :

الطور الأول وجاءت في الألف الثالث قبل الميلاد والتي اعتقد العلماء بأن نهر الفرات اتخذ له مجرى باتجاه الغرب ماراً بمنخفض الحباتية والرزازة وهور أبو دبس ومنخفض بحر النجف معتمدين في ذلك على وجود ترسبات نهريّة شبيهة بترسبات نهر الفرات ويؤيد هذا الرأي وليم ويلكوكس عندما لاحظ وجود طبقة كثيفة من الصدف الفراتي في منخفض أبي دبس وعلى منسوب (٢٥) متر ويستدل من ذلك أن هذا المنخفض كان في زمن القديم مملوءاً بالمياه المنصرفة من الفرات، وهناك اعتقاد آخر جاء به الأثاري آدمز ١٩٥٨ والذي يعتقد بأن مجرى نهر الفرات القديم يجري من شمال مدينة سبار القديمة في المنطقة غرب بغداد الحالية، أنظر الخارطة رقم (١) ومن منتصف المسافة بين بغداد والفلوجة وكان يجري باتجاه الجنوب، جنوب شرق تقريباً ويمر بمدن كوثى و كيش و نيبور (نفر) الأثرية قرب الديوانية والذي يثبت هذا الرأي هو الصور الفضائية والتي تظهر اللون الداكن للمنطقة والذي سببه الانعكاسية الطيفية القليلة الناتجة عن وجود المياه الجوفية وكثافة الغطاء النباتي، وقد أشار جعفر السكاني إلى إن مسار هذا الجزء من المجرى يبدأ من شمال غرب الفلوجة الحالية ويجري بعد ذلك في حوض وادي الكرمة الحالي الواقع غرب بغداد ويستمر في جريانه نحو مدينة دور كاركالزور الأثرية (عقرقوف) حالياً بعدها يغير اتجاهه نحو الجنوب الشرقي متصلاً بمجرى ذكره الأثاريون بأسم مجرى سبار حيث كان يمر بعدد كبير من المدن القديمة أهمها سبار وكوثى و نيبور (نفر) وشروباك والوركاء حتى يصل إلى أور (في جنوب غرب الناصرية الحالية).

الطور الثاني أتجه المجرى جانباً باتجاه الغرب نحو مجرى فرع بابل متبعاً اتجاه نهر الحلة الحالي وقرب مدينة المسيب وعلى الضفة اليمنى للنهر كان هناك فرع يتشعب باتجاه شط الهندية الحالي ويطلق عليه اسم (بالاكوباس) في عهد الاسكندر وكان له دوراً فعالاً في تحويل مياه الفرات الزائدة في موسم الفيضان، ومن الأسباب التي ترجح تغير مجرى نهر الفرات إلى جهة الغرب هي الترسبات الغرينية التي تراكمت قرب المصب مما أدى إلى تحول تدفق المياه في موسم الفيضان إلى فرع بابل الذي أصبح هو المجرى الرئيس للفرات، وهناك اعتقاد آخر والذي يرجح السبب في تحويل مجرى الفرات هو سكان الفرات الأوسط بسد صدر مجرى الصقلاوية إذ كانت تسحب كميات كبيرة من مياه الفرات إلى منخفض عقرعوف ومنه إلى نهر دجلة وبعد سده أصبح مجرى الفرات الذي يسير بالاتجاه الشرقي بطريق مدينة كوثى عاجزاً عن استيعاب كمية من المياه الإضافية المتدفقة بعد سد صدر الصقلاوية، وكانت النتيجة أن يعرج الفرات إلى جهة الغرب نحو أراضي بابل المنخفضة وأخذ له مجرى جديد، كما أن فيضان نورآد ملك لارسا والذي حدث في (١٨٥٠ - ١٨٦٥) ق.م ساعد في ميلاد مجرى جديد لنهر الفرات في حوض فرع بابل. (الحمداي)

خارطة رقم (١)

مجرى نهر الفرات في أطواره الثلاثة

المصدر: شوقي الحمداني، لمحات من تطور الري في العراق قديماً وحديثاً، مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٤٤.

الطور الثالث

في هذا الطور تحول الفرات من مجراه البابلي في جهة الشرق إلى مجرى الهندية والذي كان يطلق عليه (بالاكوباس القديم) إلى الغرب من الكوفة الحالية فقد كان مُصرفاً لنهر الفرات، وكان المجرى الرئيس للنهر في القرون الوسطى وبقي حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وفي تلك المدة قد تغير المجرى أكثر من مرة، ومن أهم العوامل التي ساعدت على تحول المجرى تراكم الطمي في حوض المجرى البابلي والذي جعل النهر غير قادر على استيعاب مياه الفيضان فاتخذت المياه الزائدة طريقها إلى فرع الهندية، ومن الأسباب الأخرى قيام آصف الدولة وزير محمد شاه الهندي في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي لإيصال المياه إلى مدينة النجف وذلك عن طريق شق جدول يأخذ من الضفة اليمنى لنهر الفرات ويجري باتجاه شط الكوفة والذي سمي فيما بعد بنهر الهندية.

فضلا عن تلك الأسباب هناك سبب هو تعمد الولاة الأتراك من سد مجرى الحلة في الظروف الاستثنائية تحقيقاً لأغراضهم السياسية، فسلیمان باشا عام (١٧٨٤م) قام بسد مجرى الفرات في الديوانية محاولاً منه لقطع المياه عن عشائر الخزرل التي تعيش على نهر الفرات جنوب الديوانية وما قام به مدحت باشا لايقبل عن سليمان عندما سد شط الدغارة لقطع الماء عن المزارع الواقعة على ذلك النهر أن تلك التغيرات لمجرى نهر الفرات أدى إلى حدوث ظواهر جيومورفولوجية واهم تلك الظواهر ما يسمى بالنقرات* والذي يعود إلى تراكم المستمر للرسوبيات في الاهور الواقعة بين الشامية والكوفة والذي أدى إلى ارتفاعها وهذا الأمر أدى إلى التفاوت في مستويات الأراضي الواقعة جنوبها مما أدى إلى حدوث تلك الظاهرة وللنقرات أسباب أخرى**

ونستنتج من هذا العرض الموجز أن نهر الفرات قد غير مجراه وانه مازال يغير في مسيره نحو الغرب والذي يستدل من خلال الثنيات والجزر النهرية فضلا عن امتداد الضفاف .

*النقرات أو النكرات هي مساقط للمياه حيث تسقط من مرتفع (أشبه بالشلالات الصغيرة) وبسبب رخاوة التربة التي تسقط عليها فتسبب حفر أو مايسمى بالنكرة في قعر المجرى وبمرور الزمن يتقدم فيه إلى الأمام بعكس اتجاه المجرى مما يؤدي إلى هبوط مستوى المياه وبالتالي يجعل الإرواء السحي متعذراً .

**أنظر الخشاب، وفاق الخشاب، الموارد المائية في العراق، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٦١-٦٢.

